

خواطر الإمام الشعراوي حول تقوى الله المتعالي: دراسة توصيفية

Mr. Syed Waseem Ahmed G

Research Scholar,
The New College,
Chennai, Tamil Nadu, India.
Email: gwaseem1400@gmail.com

سيد وسيم أحمد جي

باحث الدكتور،
الكلية الجديدة، تشنئي
تشنئي، الهند

Dr. Syed Sajjad Inayath

Assistant Professor & Research Supervisor,
The New College,
Chennai, Tamil Nadu, India.
Email: saj16@rediffmail.com

الدكتور سيد سجاد عنايت

مشرف البحوث
الكلية الجديدة، تشنئي
تشنئي، الهند

Abstract

Sheikh Muhammad Mutawally Al-Shaarawy (1911-1998) was a distinguished Islamic scholar and preacher, renowned for his pioneering oral interpretation of the Holy Quran. Born in Dakadous, Egypt, he obtained his academic degree from the Faculty of Arabic Language in Cairo in 1941. His scholarly contributions, particularly in Quranic exegesis, remain a cornerstone of contemporary Islamic thought.

A central theme in Al-Shaarawy's interpretations is the concept of Taqwa (God-consciousness), which he defined as the fundamental prerequisite for divine guidance. Through a nuanced examination of Quranic verses, he distinguished between two forms of guidance: Huda al-Dilalah (guidance of direction) and Huda al-Ma'unah (guidance of assistance). He argued that while divine direction is universally accessible, divine assistance is granted only to those who embrace and act upon the initial guidance.

Furthermore, Al-Shaarawy's reflections on Taqwa emphasized its role in shielding believers from divine wrath and guiding them towards righteousness. He interpreted Quranic injunctions on Taqwa as a call for steadfast faith, moral vigilance, and adherence to divine commandments. His elucidations on fasting further reinforce this perspective, illustrating how self-restraint fosters spiritual elevation and piety.

This article explores Sheikh Al-Shaarawy's interpretations of taqwa, analyzing their theological significance and contemporary relevance. His legacy continues to inspire scholars and believers, offering profound insights into the relationship between divine guidance and human responsibility.

Key words:

Taqwa, Tazkia, guidance of assistance, moral vigilance.

ملخص البحث:

الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - عالم نحير بارز من أعلام الدعوة الإسلامية، وصاحب أول تفسير شفوي كامل للقرآن الكريم. يسلط البحث الضوء على حياته، بدءًا من مولده عام 1911م في قرية دقادوس بمحافظة الدقهلية، مرورًا بمسيرته العلمية وحصوله على شهادة العالمية من كلية اللغة العربية بالقاهرة عام 1941م، وحتى وفاته عام 1998م.

يتناول البحث تفسير الشيخ الشعراوي لمفهوم "التقوى"، موضحة دورها كمحور أساسي للهداية في الإسلام. ويستعرض التفسير التفصيلي للشيخ حول الآيات القرآنية التي تتحدث عن الهداية والتقوى، مثل قوله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ" وقوله: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ". ويبين البحث الفرق بين "هدى الدلالة" و"هدى المعونة" كما فسره الشيخ، حيث يوضح أن الله يهدي جميع الناس إلى طريق الحق (هدى الدلالة)، لكن من يسير في هذا الطريق ويؤمن به يُعان على الثبات فيه (هدى المعونة).

ويستعرض البحث أيضًا تعريف الشيخ الشعراوي للتقوى، مشيرًا إلى أنها الوقاية من غضب الله وعذابه، عبر الالتزام بمنهجه وطاعته، وأن التقوى الحقّة تعني طاعة الله دون تردد أو تأثر بلوم اللّائمين. كما يناقش تفسيره العميق لبعض الآيات المتعلقة بالتقوى، مثل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ"، حيث يوضح الشعراوي أن التقوى الحقّة هي الالتزام الكامل بمنهج الله، وأنها تتطلب عدم التذبذب في الإيمان، وأنزل الله بعدها قوله: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ" تخفيفًا ورحمة بالعباد.

ويختتم البحث بالإشارة إلى خواطر الشيخ حول العلاقة بين الصيام والتقوى، استنادًا إلى قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"، حيث يرى الشيخ أن الصيام يضبط شهوات الإنسان، ويهذب سلوكه، مما يعينه على تحقيق التقوى في حياته.

الكلمات المفتاحية:

محمد متولي الشعراوي، التفسير، هدى الدلالة، هدى المعونة، الصيام، الهداية.

المقدمة:

محاضرات الإمام محمد متولي الشعراوي رحمه الله غنية بالدرر النفيسة تحث على التزكية والتقوى. كلماته وكتاباته تزيد القلوب نورا وتشرح الصدور ضياء. فإنه من الأمثال الذين يقال فيهم "خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله عزوجل"¹. فاقتران العبارة 'تقوى الله المتعالي' مع اسم الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله مناسب مناسبة النور بالشمس، لأن اسمه صار مترادفا لتزكية النفس لا سيّما تقوى الله تعالى.

وإن سلوكي إلى تقوى الله المتعالي استقام بعد ما بدأت أن أسمع الشيخ محمد متولي الشعراوي قبل 17 سنة. منذ ذلك اليوم أواضب على الاستماع والقراءة له من أجل حصول التقوى. كل من أراد حصول تزكیه النفس وإزالة الأمراض الباطنة في هذا الزمن لجأ إلى خطب الشيخ محمد متولي الشعراوي خصوصاً تفسيره المسّمى بخواطر الشعراوي.

نبذة عن الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله:

علم بارز من أعلام الدعوة الإسلامية ، ، وثبت له في ذاكرة التاريخ مكاناً بارزاً كواحد من كبار المفسرين ، وكصاحب أول تفسير شفوي كامل للقرآن الكريم ، .

مولده:

ولد الشعراوي يوم 15 أبريل عام 1911م ، بقرية "دقادوس" ، مركز ميت غمر ، بمحافظة الدقهلية ، بجمهورية مصر . حصل على شهادة العالمية من كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة 1941م .

وفاته:

وفي صباح الأربعاء 22 صفر 1419هـ الموافق 17/6/1998م انتقلت الروح إلى بارئها ، وفقدت الأمة علماً آخر من أعلامها البارزين. رحم الله الشعراوي ، وعفا عنه ، وجازاه عن القرآن خيراً ، وعوض المسلمين خيراً منه . آمين.

¹ - حديث صحيح ابن ماجه : أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: خياركم الذين إذا رءوا ذكر الله : 349/3

التقوى هو مدار ومحمل الهدى لولا التقوى لما اهتدى احد من الورى. كما حصّر الله تبارك وتعالى الهداية للمتقين. حيث قال الله تعالى في بداية كلامه الأعلى بإعتبار المصحف المرتّب بسم الله الرحمن الرحيم "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"¹.

هناك إشكال، لأننا نجد في مكان آخر في سورة البقرة نفسها أن هذا القرآن هدى للجميع حيث قال الله عز وجل "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ".² فالجواب ما أجابه الشيخ متولي الشعراوي رحمه الله و الأخورون بأن الهدى نوعان 1. هدى الدلالة 2. هدى المعونة.

أما هدى الدلالة وهو أن يهدى الله خلقه جميعا إلى الصراط المستقيم وإلى طاعته وجنته. كما نجد قوله تبارك وتعالى "وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى"³ فالله سبحانه وتعالى دلهم على طريق الهداية.. ولكنهم أحبوا واختاروا طريق الغواية والمعصية ثم اتبعوه.. هذه هداية الدلالة.

أما هداية المعونة ففي قوله سبحانه "والذين اهتدوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ"⁴ وهذه هي دلالة المعونة.. وهي لا ينالها إلا من آمن بالله واتبع منهجه وأقبل على هداية الدلالة وعمل بها. إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وتعالى لا يعين من لا يريد هداية الدلالة ويرفضها ، بل يتركه أن يضل ويشقى.

تعريف التقوى:

ما معنى المتقين؟ قد عرفه الشيخ بنهجه الجميل حيث قال المتقين جمع متق. مصدره الاتقاء وهو من الوقاية. والوقاية هي الاحتراس والبعد عن الشر. لذلك يقول الحق تبارك وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ".⁵ أي اجعلوا بينكم وبين النار وقاية. اجتنبوا من أن تقعوا في النار.

¹ سورة القرة 2

² سورة البقرة: 185

³ فصلت: 17

⁴ محمد: 17

⁵ - سورة التحريم: 6

ما أجمل خاطره عن التقوي في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"¹
قال الشيخ إن الله قد أعطى المؤمنين المناعة أولاً بالألا يسمعوا كلام أعداء الدين. وحين نسمع كلمة (اتقوا)
فلنفهم أن هناك أشياء تسبب لك التعب والأذى، فعليك أن تجعل بينك وبينها وقاية، ولذلك قال الحق: {واتقوا
النار التي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}..

إنه الحق يطلب من الإنسان أن يجعل بينه وبين النار وقاية وحجاباً يقيه منها. والحق سبحانه وتعالى حين
يقول على سبيل المثال: {واتقوا الله إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}²

أي اجعل بينك وبين الله حجاباً يقيه من غضبه. وقد يقول قائل: كيف يكون ذلك وأنا كمؤمن أريد أن
أعيش في معية الله؟

نقول: إنك تجعل الوقاية لنفسك من صفات جلال الله، وأنت تستظل بصفات الجمال، فالمؤمن الحق
هو من يجعل لنفسه وقاية من صفات جلال الله، وهي القهر والجبروت وغيرها، وكذلك النار إنَّها من جنود صفات
الجلال. فحين يقول الحق: {اتقوا النار} أو {اتقوا الله} فالمعنى واحد. وعندما يسمع إنسان قول الحق سبحانه:
{اتقوا الله حَقَّ تَقَاتِهِ} ماذا تعني (حق تقاته)؟ إن كلمة (حق)- كما نعرف- تعني الشيء الثابت الذي لا يزول ولا
يتزحزح، أي لا ينتهي ولا يتذبذب، هذا هو الحق.

إذن ما حق التقى؟ هو أن يكون إيمانك أيها المؤمن إيماناً راسخاً لا يغادر ولا تتذبذب معه، واتقاء الله
حق تقاته هو اتباع منهجه، فيطاع الله باتباع المنهج فلا يعصي، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر ولا يُكفر. وطريق الطاعة
يوجد في اتباع المنهج ب (افعل) و (لا تفعل) ويذكر ولا ينسى؛ لأن العبد قد يطيع الله، وينفذ منهج الله، ولكن النعم
التي خلقها الله قد تشغل العبد عن الله، والمنهج يدعو أن تتذكر في كل نعمة من أنعم بها، وإياك أن تنسيك
النعمة المنعم.

¹ - سورة آل عمران: 102

² - سورة المائدة: 4

وقيل في معنى: {حَقُّ تَقَاتِهِ} أي أنه لا تأخذك في الله لومة لائم، أو أن تقول الحق ولو على نفسك. هذا ما يقال عنه (حق التقى)، أي التقى الحق الذي يعتبر تقى بحق وصدق. وقال العلماء: إن هذه الآية عندما نزلت وسمعتها الصحابة،

استضعف الصحابة نفوسهم أمام مطلوبها، فقال بعضهم: من يقدر على حق التقى؟ ويقال: إن الله أنزل بعد ذلك: "فاتقوا الله ما استطعتم".¹

إذاً، هل يعني هذا أن الله كان يفرض على الناس ما لا يمكنهم فعله أولاً، ثم قال بعد ذلك: "اتقوا الله ما استطعتم"؟ لا، الحق أن الله لا يكلف إلا بما يستطيع الإنسان، وقد يسيء الناس في فهم قوله تعالى "اتقوا الله ما استطعتم"، حيث يقول العبد: لا أستطيع القيام بذلك، ويعتقد أنه بذلك يُعفى من التكليف. هذا فهم خاطئ؛ فالصواب أنه يجب على الإنسان أن يتقي الله بما يستطيعه من الوسع، ويجب عليه أن يفعل ما يستطيع فعله، ولا يفترض على أحد أن يتناول معنى مغاير ويقول: "أنا غير قادر"، لأن الله يعلم حدود القدرة لكل إنسان.

وساعة تكون غير مستطيع فهو سبحانه الذي يخفف.. إنك لا تخفف أنت على نفسك أيها العبد، فالخالق الحق هو الذي يعلم إذا كان الأمر خارجاً عن استطاعتك أو لا، وساعة يكون الأمر خارجاً عن استطاعتك فالله هو الذي يخفف عنك. ولذلك فعلى الإنسان ألا يستخدم القول الحق: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"² وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا".³

فلننظر خواطر الشيخ حول قول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ".⁴ يقول الشيخ "معنى {اتقوا ربكم} أي اجعلوا بينكم وبينه وقاية، وماذا نفع لنا لتتقى ربنا؟ أول التقوى أن نؤمن به إلهاً،

¹ - سورة التغابن: 16

² - سورة البقرة: 286

³ - سورة النساء: 1

⁴ - سورة النساء: 1

ونؤمن أنه إله بعقولنا، إنه سبحانه يعرض لنا القضية العقلية للناس فيقول: "يا أيها الناس اتقوا رَبَّكُمْ" ¹ ولم يقل: اتقوا الله، لأن الله مفهومه العبادة، فالإله معبود، له أوامر، وله نواه، لم يصل الحق بالناس لهذه بعد. إنما هم لا يزالون في مرتبة الربوبية، والرب هو: المتولى تربية الشئ، خلقاً من عدم وإمداداً من عدم.

ثم أتى الشيخ رحمه الله بسؤالٍ فهو "أليس من حق المتولى خلق الشئ، وتربيته أن يجعل له قانون صيانة؟"

فالجواب: إن من حق الله تعالى ومسئوليته أن يضع لمخلوقه قانون صيانة. ونشاهد الآن أن كل صانع أو مخترع يضع لاختراعه أو للشئ من صنعه قانون صيانة، أيخلق سبحانه تعالى البشر من عدم وبعد ذلك يتركهم ليتصرفوا و يقضوا حياتهم كما يشاؤون؟ أم يقول الله لهم: قوموا بعمل كذا وكذا ولا تعملوا هذا وذاك، لكي تؤدوا مهماتكم في الحياة؟ إنه يضع دستورا وقانونا للدعوة إلى الإيمان، فقال: "يا أيها الناس اتقوا رَبَّكُمْ الذي خَلَقَكُمْ" إذن فالمطلوب منهم ان يتقوا، ومعنى يتقوا ان يقيموا الوقاية لأنفسهم بأن ينفذوا أوامر هذا الرب الإله الذي خلقهم، وبالله يجعل خلقهم علة إلا إذا كان مشهودا بها له؟ هو سبحانه يقول: {اتقوا رَبَّكُمْ الذي خَلَقَكُمْ} كأن خلقه ربنا لنا مشهود بها، وإلا لو كان مشكوكا فيها لقلنا له: إنك لم تخلقنا- والله المثل الأعلى؟

أنت تسمع من يقول لك: "أحسن إلى فلان الذي صنع لك كذا وكذا"، فهل تنكر أنه قد صنع لك ذلك؟ إذا أقررت بفعله، فإنك تستجيب لمن يطلب منك الإحسان إليه. وهكذا، عندما يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}، فإن مسألة خلق الله للناس ليست محل شك أو جدال، بل هي حقيقة يؤمن بها الجميع. ولذلك، أراد سبحانه أن يجذبنا إليه عبر الأمر الذي نؤمن به جميعاً، وهو أنه خلقنا، لينقلنا بعد ذلك إلى ما يريده منا، وهو أن نتقيه ونتلقى منه ما يحميننا من صفات جلاله.

وقد استخدم سبحانه لفظ "رب" بدلاً من "الله"، لأن مفهوم الرب يشمل من خلق من عدم، وأمد من عدم، وتعهّد بالرعاية والتربية، حتى يبلغ الإنسان مرتبة الكمال التي أرادها الله له. فهو الذي خلق الكون وأتقن

¹ - المصدر السابق

صنعه. ولذلك يقول الحق سبحانه: {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}، أي أن قضية الخلق قضية مستقرة لا مجال للإنكار فيها.

ومادامت قضية مستقرة فمعناها: مادمتم آمنتم بأنى خالقكم فلى قدرة إذن، هذه واحدة، وربيتكم إذن فلى حكمة، وإله له قدرة وله حكمة، إما أن نخاف من قدرته فنرهبه وإما أن نشكر حكمته فنقر به، {يا أيها الناس اتقوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}..

الآن نرى خاطره حول قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}¹

يقول الشيخ ونعرف أن معنى التقوى هو أن نجعل بيننا وبين صفات الجلال وقاية، وأن نتقي بطش الله، ونتقي النار وهي من آثار صفات الجلال. وقوله الحق: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} أي أن نهذب ونشذب سلوكنا فنبتعد عن المعاصي، والمعاصي في النفس إنما تنشأ من شره ماديتها إلى أمر ما. والصيام كما نعلم يضعف شره المادية وحدتها تسلطها في الجسد، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم للشباب المراهق وغيره: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (البخاري)².

الخاتمة

فإن محاضرات الإمام محمد متولي الشعراوي رحمه الله تمثل مصدراً ثرياً للحكمة والتعاليم التي تعزز التزكية والتقوى. بفضل تفسيراته وخواطره العميقة، نجد أن مفهوم "تقوى الله المتعالي" يصبح أكثر إشراقاً وفهماً بفضل تفسيراته المبسطة والعميقة للقرآن الكريم. إن إرثه العلمي والروحي يظل حاضراً لدى الناس، ملهماً إياهم للسير على درب التقوى والتأمل في آيات الله. رحم الله الشيخ محمد متولي الشعراوي وألهمنا جميعاً الاستفادة من تعاليمه النيرة والبعد في التفكير والتأمل في القرآن الكريم، آمين.

المصادر والمراجع:

¹ - سورة البقرة: 183

² صحيح البخاري: 5065

1. القرآن الكريم
2. صحيح البخاري للإمام البخاري
3. صحيح مسلم للإمام مسلم بن حجاج
4. خواطر الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي، سبتمبر 2006،
5. إحياء علوم الدين للإمام الغزالي
6. سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي